لا تنافي بين ضرب زينب رأسها بالمحمل مع قولها: ما رأيت إلا جميلاً

<"xml encoding="UTF-8?>

السؤال

كيف توجّهون هذه القصة و هى أن السيدة زينب(ع) ضربت رأسها بخشبة المحمل؟ ألا تتنافى هذه القصة مع كلمتها "ما رأيت الا جميلاً"؟

الجواب الإجمالي

أولاً: لم تثبت قضية ضرب رأسها بشكل قطعى، و ثانياً: لا تنافى بين هاتين القضيّتين لأن واقعة كربلاء كان لها جهتان إحداهما جهة الألم و المصيبة و هى الجريمة التى حصلت من قبل الفاسقين و كانت نتيجتها حرمان البشرية من القيادة الإلهية، و الجهة الاخرى تضحية أولياء الله فى طريق دين الله و محبة الله، و الالطاف و العناية الإلهية الخاصة بهم و من ناحية اخرى الآثار العظيمة الخالدة لتلك الثورة فى إحياء الدين الإلهى و ايقاظ الامة من الغفلة و عرض النموذج الثورى فى مواجهة ظلم و الحاد الجائرين و كل ذلک جميل يستحق الافتخار به و لذلک قالت "ما رأيت الا جميلاً".

الجواب التفصيلي

أولاً نقل أنه "حينما أدخلوا رؤوس الشهداء و فى مقدمها رأس أبى عبد الله (ع) الكوفة فالتفتت زينب (ع) فرأت رأس أخيها فضربت جبينها بمقدم المحمل حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها" يقول الشيخ المرحوم عباس القمى فى هذا الشأن "و هذا الخبر و إن نقله العلامة المجلسى لكن مستنده هو كتاب منتخب الطريحى و كتاب نور العين و لا يخفى على أهل الخبرة و الفن فى علم الحديث حال الكتابين المذكورين".[1]

و بناء على هذا فنلاحظ أن أصل هذه الرواية قابل للمناقشة و لم يثبت بشكل قطعى و لكن بغضّ النظر عن هذه

الرواية فإن مجرد إظهار الحزن بأشكال اخرى مثل البكاء و العزاء فى مأتم أبى عبد الله(ع) له توجيه معقول فى قبال عبارة السيدة زينب(ع) "ما رأيت الّا جميلاً"، و هو أن كربلاء عملة لها وجهان أحدهما الألم و المصيبة من قبل البشر الجاهل و الوجه الآخر الرحمة من قبل الحكيم الرحيم، أحدهما كان هو الدم و السيف و النار و القتل و السلب و هذا كان هو الظاهر المرئى و الذى حصل من قبل يزيد و اليزيديّين، و اما الوجه الآخر الذى يلزم لإدراكه البصيرة و دقة النظر فهو التقرّب الى الذات الإلهية القدسيّة و عرض الدروس و جماليات المدرسة الإلهية و المتخرّجين من مدرسة الإسلام و التضحية فى سبيل إحياء هذا الدين، و العناية الإلهية الخاصة بسبب هذه التضحية و الإيثار فى طريق الهدف الإلهى المقدّس هو الهدف الذى أراده الله من خلق الإنسان و هدايته، و أن هذا الهدف و هذه الهداية يجب أن تبقى الى يوم القيامة، لكي تنشأ البشرية فى ظلّها نشأة سماوية، ذلك الوجه المستند الى الله و هو العناية الإلهية و كل ما فيها جميل، و السيدة زينب(ع) حينما تحدّثت عن الجمال فإنما رأت هذا الوجه و نظرت الى هذه الجهة، و لهذا السبب فإنه كان كلّما اشتدّت ضراوة الحرب كان الإمام الحسين(ع) و بعض أنصاره وجوههم أكثر تلألؤاً و إشراقاً و قلوبهم أشد سكينة و طمأنينة.[2]

نعم المصيبة هى أن تجهل البشرية قدر مثل هؤلاء الهداة الإلهيين و الشخصيات الإنسانية العظيمة و تتعاملهم بمنتهى الخسة و الدناءة و تحرم الإنسانية من وجوههم.

إن الشعور بهذه المصيبة يحزن القلوب و يبكي العيون و يثير العواطف الإنسانية و يقيم العزاء و كما يقول الاستاذ الشهيد المطهرى "النبى هو الإنسان الكامل، الحسين هو الإنسان الكامل، الزهراء هى الإنسان الكامل أى أن فيهم الصفات الإنسانية بكمال رفيع فوق مستوى الملك، أي إنهم يجوعون كما يجوع الناس و يأكلون الطعام، و يعطشون و يشربون الماء و يحتاجون الى النوم و يحبّون أطفالهم و لهم غريزة جنسية، و لهذا يمكن أن يكونوا قدوة، و لو لا ذلك لم يكونوا ائمة و اسوة، و هم فى عواطفهم و جنباتهم البشرية أقوى منّا و فى الوقت نفسه هم أرفع من الملائكة و من جبرئيل الأمين فى الجنبات الإنسانية و لهذا يمكن الإمام الحسين أن يكون اسوة، لأن فيه جميع الصفات البشرية، فهو حينما يتقدّم إليه ولده الشاب الرشيد و يطلب منه الإذن فى البراز فإنه يتألّم و يعتصر قلبه ... فالعاطفة هى من الكمالات البشرية، و لكنه يتجاوز كل ذلک فى قبال رضا الله.[3]

أى أنه مع وجود كل هذه العواطف لا يصدر منه فى هذه المصائب و الآلام كلام أو سلوک على خلاف الرضا الإلهى و ما يوجب غضب الله و سخطه أبداً.

و بناء على هذا فاختلاف هؤلاء عن الآخرين هو فى أن آلامهم و أحزانهم تكون لأجل الله و فى سبيل الله و لا يتركون طريق الله بسبب الآلام بل يستقيمون على هذا الطريق الى آخر نفس، و من هنا يستحقّون العناية الإلهية و ترتوى بها نفوسهم و تلتذ بها فطرتهم التوحيدية و يسعدون و هذه هى جنبة الجمال فى الواقعة.

و لكن ابن زياد بخطبته الجهلاء نسب جريمته و عمله الذميم الى الله و كان هدفه أن يظهر جرائمه بمظهر الحق و يهين مقام الإمام(ع) و أنصاره، حيث أفهمته السيدة زينب الكبرى(ع) بأن الله لا يصدر منه القبيح و أن كل ما يصدر عن الله فهو جميل و نحن لم نر الا الجميل، و أن ما كان قبيحاً فهو قد صدر منك و من أمثالك و ليس من الله، فأنت أردت أن تؤذيننا و تؤلمنا و تهيننا و تقضى علينا، و نحن قد تألّمنا و أصبنا، و لكنا و بوسيلة الصبر و الإستقامة فى مقابل ذلک قد نلنا العناية الإلهية و حصلنا على الشهادة و العزّة و العظمة و حفظ دين النبى و

أهل بيته، و بقى حياً، و فى مقابل ذلک سيكون نصيبک الذل و الخسران.[4]

1- القمي، الشيخ عباس، منتهى الآمال، ج1، ص 753، الطبعة السابعة، مؤسسة منشورات الهجرة، قم 1372 ش.

2- لاحظ: المجلسى، بحارالانوار، ج 44، ص 297، باب 35؛ ج 6، ص154، باب 6، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، 1404 ق.

3- المطهري، مرتضي، المقتل المطّهر، المقالة 36، ص180، الطبعة الرابعة، منشورات الزمان، تدوين و تحقيق: جعفرصالحان، طهران، 1382 ش.

4- (كيف رأيت صنع الله بأخيک ...) المجلسى، محمد باقر، بحارالانوار، ج 45، ص 115، باب 39، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، 1404 ق.